

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26]

❁ مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

في مناسبة هذه الآية لما قبلها ثلاثة أوجه:

الأول: أنه "لَمَّا أَمَرَهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِاتِّقَاءِ الْمَعْصِيَةِ؛ أَكَّدَ ذَلِكَ التَّكْلِيفَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ وذلك لأنه تعالى بيّن أنّهم كانوا قبل ظهور الرسول ﷺ في غايةِ القِلَّةِ والذَّلَّةِ، وبعد ظهوره صاروا في غايةِ العِزَّةِ والرَّفعةِ، وهذا يوجبُ عليهم الطَّاعَةَ وَتَرَكَ الْمُخَالَفَةَ"⁽¹⁾.

الوجهُ الثاني: أنه لَمَّا أَعْلَمَهُمْ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ إِلَهُ قَادِرٌ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِيَلْزَمُوا سَبِيلَ الْإِسْتِقَامَةِ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ الْعِقَابِ الْإِذْلَالُ؛ حَذَّرَهُمُوهُ بِالتَّذْكِيرِ بِمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الذُّلِّ؛ لِأَنَّهُ أَبْعَثَ عَلَى الشُّكْرِ، وَأَزَجَّرَ عَنِ الْكُفْرِ، فَقَالَ: ﴿وَأَذْكُرُوا﴾⁽²⁾.

الوجهُ الثالثُ: أنَّ في مجيءِ هذه الخطاباتِ - بعد وصفهم بالذين آمنوا في الآياتِ السَّابِقَةِ - إِيْمَاءً إِلَى أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الَّذِي سَاقَ لَهُمْ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ كُلَّهَا، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ هَذَا أَثَرُهُ فِيهِمْ، كَلَّمَا احْتَفَظُوا عَلَيْهِ؛ كَفَوْهُ مِنْ قَبْلِ سُؤَالِهِمْ⁽³⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾: الضَّادُ وَالْعَيْنُ وَالْفَاءُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ، يَدُلُّ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 474/15.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 259/8.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 319/9.

التَّذْكِيرُ بِحَالِ
الضَّعْفِ وَالْقِلَّةِ
بَاعَثَ عَلَى دَوَامِ
الشُّكْرِ وَالرَّفْعَةِ

أحدهما على خلاف القوة، ويدل الآخر على أن يُزاد الشيء مثله، و﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾ من الأصل الأول، يقال: تضعفته واستضعفته للذي يضعفه الناس، ويتجبرون عليه في الدنيا للفقر ورثاة الحال، وقيل: الضعف بالضم في الجسد، والضعف بالفتح في الرأي والعقل، وقيل: هما معًا جائزان في كل وجه⁽¹⁾.

والمعنى في الآية موافق للمعنى اللغوي، فمعنى ﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾: معدودون من الضعفاء لقلتهم وذلتهم وخوفهم، وهوانهم على الناس، فكانوا مضطهدين مهوورين في أرض مكة قبل الهجرة⁽²⁾.

(2) ﴿يَتَخَفَتَكُمْ﴾: التَخَفُ: شدة الخطف، والخطف والاختطاف: هو استلاب في خفة، وقيل: هو الاختلاس والأخذ في سرعة، وخطف بالتشديد أصله: اختطف، فأدغمت التاء في الطاء، وألقيت حركتها على الخاء، فسقطت الألف، وخطفه، واختطفه، كما قالوا: نزعه، وانتزعه، ويقال للشيطان: الخطاف؛ لأنه يخطف السمع، أي: يسترقه⁽³⁾.

ومعنى ﴿يَتَخَفَتَكُمْ﴾: يأخذكم أعداؤكم، فيفتكوا بكم بدون كبرى مشقة، ولا طول محاربة؛ إذ كانوا أشد قوة منكم⁽⁴⁾.

(3) ﴿فَتَأْوِيكُمْ﴾: الهمزة والواو والياء أصلان: أحدهما التجمع، والثاني: الإشفاق، يقال: أوى وأوى بمعنى واحد، أوى إلى كذا: انضم إليه، وأوى إلى الله: رجع إليه، ومن الممدود ما جاء في الدعاء: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»، والمأوى: المنزل والمكان الذي يأوي إليه، وأوى له: رَقَّ له، وأشفق عليه⁽⁵⁾. ومعنى ﴿فَتَأْوِيكُمْ﴾: جعل لكم مأوى تأوون إليه، وتتحصنون فيه من أعدائكم الكفار، فأواكم في المدينة، وحفظكم، ورعاكم⁽⁶⁾.

(4) ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾: التأييد مصدر أيد: الهمزة والياء والدال: أصل واحد يدل على

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (ضعف).

(2) ابن جرير، جامع البيان: 477/13، والآلوسي، روح المعاني: 182/5، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 319/9.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (خطف).

(4) ابن عاشور، التحرير: 320/9، والمرآي، تفسير الرازي: 190/9.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (أوى).

(6) ابن جرير، جامع البيان: 479/13، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 101/3، والآلوسي، روح المعاني: 182/5.

القُوَّةَ والحفظ، يقال: أيَّدَهُ اللهُ، أي: قَوَّاهُ، والإيادُ: كُلُّ معقلٍ أو جبلٍ حصينٍ أو كنفٍ وسترٍ، وهو كُلُّ حاجزٍ لِلشَّيْءِ يحفظُهُ، ويتقوَّى بِهِ⁽¹⁾. ومعنى ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾: قَوَّاهُمْ، وقَوَّى شوكتَكُمْ بمظاهرةِ الأنصارِ، أو بإمدادِ الملائكةِ والتَّشْيِيتِ الرَّبَّانِي يومَ بدرٍ⁽²⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

يذكرُ اللهُ ﷻ المؤمنينَ بحالِهِم، وهم قليلٌ في غايةِ الضَّعْفِ وشِدَّةِ الخوفِ والهوانِ على النَّاسِ، فَهُم مضطَّهَدُونَ مقهورُونَ مشَتَّتُونَ، يستضعفُهُمُ الكُفَّارُ، فيفتنونَهُم عن دينِهِم، وينالونَهُم بالْمَكْرُوهِ في أنفُسِهِم وأعراضِهِم، يخافونَ مِنْهُمْ أن يتخطَّفوهم دونَ كبرى مشقَّةٍ، فيقتلوهُم، ويذكرُهُم سبحانه بفضلِهِ ومَنَّتِهِ عَلَيْهِم؛ إِذْ أَوَّاهُمْ إِلَى حماهُ، وقَوَّاهُ ورعايَتِهِ، وجعلَ لَهُم مأوًى يَأوُونَ إِلَيْهِ، وإخوةً يتحصَّنُونَ بِهِم، وقَوَّاهُمْ بنصرِهِ لَهُم في بدرٍ، وأطعمَهُم حلالاً طَيِّباً، فكانتَ لَهُم الحياةُ الآمنةُ القويَّةُ الغنيَّةُ.

مَنْ تَذَكَّرَ ضَعْفَهُ
عِنْدَ قُوَّتِهِ، وَذِلَّتَهُ
عِنْدَ عِزَّتِهِ؛ أَوْى
إِلَى رُكْنٍ مَتِينٍ
وَمَلَأَ أَمِينٍ

فمن ذا الَّذي يتأملُ هذه النِّقْلَةَ الكَبِيرَةَ من الفِزَعِ إِلَى الأَمَنِ، ومن الضَّعْفِ إِلَى القُوَّةِ والنَّصْرِ، ومن الفقرِ إِلَى الغنى والرِّزْقِ الطَّيِّبِ والمتاعِ الكريمِ، ثُمَّ لا يشكرُ اللهُ المنعمَ؟

❁ الإيضاحُ اللُّغَوِيُّ والبلاغِيُّ:

معنى الواو ودلالاتها:

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عَلَيْهِ هو قولُهُ تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ والمعنى: استجيبوا لِلَّهِ فيما يدعوكُم إِلَيْهِ، واعلموا بأنَّ اللهُ لا تخفى عَلَيْهِ نِيَّاتُكُمْ، واحذروا من فِتْنَةِ الخِلافِ عَلَى الرَّسُولِ

عَطَفَ تَذَكُّرُ نَعَمِ
الِلهِ عَلَى الأَمْرِ
بِطَاعَتِهِ يَبْعَثُ فِي
النَّفُوسِ الشُّكْرَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والراغب، المفردات، ص: 38، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (أيد).

(2) القرطبي، أحكام القرآن: 394/7، والألوسي، روح المعاني: 182/5.

﴿وتذكروا نعمة الله عليكم بالعزة والنصر بعد الضعف والقلّة والخوف﴾⁽¹⁾.

بلاغة التوسط بين الكماليين:

الارتباط بين
تذكر النعم
ودوام طاعة الله
ارتباط وثيق لا
ينفك

بين قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ - وما قبله من جملٍ عَظُمَتْ عليها - توسط بين الكماليين لاشتراكهما في الإنشائية، ووجود تناسبٍ وارتباطٍ بينها؛ إذ إنَّ في أمرهم - بتذكر نعم الله عليهم بالعزة والنصر بعد قَلَّتْهُمْ وضعفهم - تقويةً للأمر بطاعته ومراقبته وعدم مخالفة رسوله ﷺ.

غرض الأمر:

معرفة امتنان
الرحمن أمان
من افتتان
الشيطان

غرض الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ الامتنان وتذكيرهم بالحال التي كانوا عليها وبالحال التي صاروا إليها، فبعد القلّة كثّرهم، وبعد الخوف أَمَّنْهم، وبعد الضعف قوَّاهم.

سر اختيار مُفردة الذكر:

الذكر تذكر
الجنان وذكر
اللسان

اختار البيان القرآني مفردة الذكر دون غيرها في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾؛ لأنها أوسع معنى، فهي تشمل التذكر للماضي والتأمل في المستقبل، وتشمل التذكر الفكري والتذكر باللسان، بناءً على أنها من الذكر، فتكون للمستقبل المتضمن تذكر الماضي، أي: تذكروا لتذكروا نعمة الله عليكم، أي: تشمل على دعوة للتذكر والتأمل في حالهم من قبل ومن بعد.

ويرى ابن عاشور أنها من الذكر، قال رحمه الله: "فعل (واذكروا) مشتق من الذكر - بضم الدال - وهو التذكر لا ذكر اللسان، أي: تذكروا"⁽²⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 318/9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 318/9.

معنى ﴿إِذْ﴾ بين الظرفية والمفعولية:

اختلف العلماء في إعراب ﴿إِذْ﴾ على رأيين⁽¹⁾:
فهي إما أن تكون اسمَ زمانٍ مجردٍ عن الظرفية مفعولاً به،
وتقديره: (واذكروا زمنَ كنتم قليلاً)⁽²⁾، وإما أن تكون ظرفاً لمفعولٍ
به محذوفٍ تقديره: (واذكروا حالكم إذ أنتم قليلٌ)، أو: (واذكروا
نعمة الله عليكم إذ أنتم قليلٌ)⁽³⁾.

ولا يجوز أن تكون ظرفاً لـ ﴿وَأَذْكُرُوا﴾؛ لأنها للمستقبل، فلا يكون
ظرفه إلا مستقبلاً، وإذ: ظرفٌ ماضٍ يستحيل أن يقع فيه المستقبل⁽⁴⁾؛
لأنه يقتضي طلبَ المحال، وهو طلبُ الذكر في ذلك الزمن الذي قد
مضى قبل وجود المخاطبين، والمراد ذكر الوقت نفسه لا الذكر فيه⁽⁵⁾.

معنى إضافة ﴿إِذْ﴾:

أفادت إضافة ﴿إِذْ﴾ للجملة ﴿أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ﴾ تعريفَ
المضاف⁽⁶⁾، أي: التعريف بالوقت الذي كان المسلمون فيه قليلاً
مستضعفين يتخطفهم الناس، وبهذه الحال التي كانوا عليها، فكأنه
خاطبهم: اذكروا في مستقبل زمانكم ماضيكم؛ كي تبقوا على ذكرٍ
وتذكرٍ لنعمة الله عليكم.

بلغة التعبير بالجملة الاسمية:

عبر بالجملة الاسمية ﴿أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾، ولم يقل: (واذكروا قلنتكم
واستضعافكم في الأرض)؛ للإيذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة
وما يتبعها من الضعف والخوف والاستضعاف⁽⁷⁾؛ إذ إنهم في وقت

المراد بـ (إِذْ) ما
يذكره المخاطب
من أمرٍ لماضي في
المستقبل

الإضافة تعريف
بحالهم في
الزمن الماضي

استشعار
استمرار القلة
والضعف مُعَبَّن
على الاستجابة

(1) للرازي، الجنى الداني، ص: 188.
(2) الكشاف، الزمخشري: 213/2، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 319/9.
(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 516/2.
(4) أبو حيان، البحر المحیط: 307/5.
(5) ابن نور الدين، مصابيح اللغاني في حروف اللغاني، ص: 78.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 319/9.
(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 17/4، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 319/9.

نزول الآيات ما زالوا في قلّة، ولذلك قدّر ابن عطية المفعول المحذوف بـ "حالكم الكائنة أو الثابتة؛ إذ أنتم قليل"⁽¹⁾، ففيه مزيد امتنانٍ ورائحة اختصاص، أي: أنتم دون غيركم.

نكتة التعبير بالإنفراد دون الجمع:

الإخبار بالمفرد
عن الجماعة
تأكيد للضعف

جاء الخبر مفردًا ﴿قَلِيلٌ﴾، وهو خبرٌ عن ضمير الجماعة ﴿أَنْتُمْ﴾، ولم يأت بصيغة جمعٍ مثل (أقلّة) أو (قليلون)؛ لأنّ قليلًا وكثيرًا قد يجيئان غير مطابقين لما جريا عليه، وفي هذه الحالة يُعامل موصوفهما معاملة لفظٍ شيءٍ أو عدد، قال تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1]، وفي هذا التقدير (شيء) إشارة إلى مزيد ضعفٍ فيهم؛ إذ هم شيءٌ قليلٌ.

سرّ اختيار لفظ ﴿قَلِيلٌ﴾:

لفظ (قليل)
أوسع في الدلالة
على المعنى المراد
وأنسب في بلاغة
النظم

أخبر القرآن عن المخاطبين بقوله: ﴿قَلِيلٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾، دون ﴿أَذَلَّةٌ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرٍ وَأَنْتُمْ أَذَلَّةٌ﴾ [آل عمران: 123] رغم أنّ المفسرين فسّروا (أذلة) بقليل العدد والعدة؛ ذلك لأنّ لفظ (أذلة) لا يؤدي الغرض في الدلالة، كما يؤديه لفظ (قليل)؛ لأنّه لا يشترط في الأذلة قلّة العدد، بخلاف لفظ (قليل) فإنّه يشتمل على قلّة العدد، ويوحي بالذلة التي صرّحت بها بقيّة ألفاظ الآية.

كما أنّ لفظ (قليل) يناسب ما جاء بعده من الألفاظ: ﴿مُسْتَضَعْفِينَ﴾ ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾، بما يكمل صورة المشهد؛ إذ غالبًا ما تكون قلّة العدد سبب الضعف ومقدّمة له، وسبب استضعاف غيرهم لهم، ويناسب الخوف من التخطّف الذي يسهل في العدد القليل بدون أية مشقّة.

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 516/2.

دلالة السَّيْنِ والتَّاءِ:

دلَّ وجودُ السَّيْنِ والتَّاءِ في المفردةِ القرآنيَّةِ ﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾ على طلبِ ضعفِهِم، فالاستضعافُ: طلبُ ضعفِ الشَّيءِ بتهوينِ حاله، أي: إِنَّ كَفَّارَ قَرِيْشٍ أو العربِ أو فارسِ والرومِ يريدونَ، ويطلبونَ ضعفَهُم، ولذلك عبَّرَ باسمِ المفعولِ للدَّلالةِ على غايةِ ضعفِهِم، يقولُ البقاعيُّ: "لَمَّا كَانَ وجودُ مطلقِ الاستضعافِ دالًّا على غايةِ الضَّعْفِ بُنِيَ للمفعولِ قولُهُ: ﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾ أي: لا منقذَ عندكم"⁽¹⁾، فالطَّلَبُ من غيرِهِم لا منهم.

معنى (أَل) في كلمة ﴿الْأَرْضِ﴾:

(أَل) في كلمة ﴿الْأَرْضِ﴾ في قوله تعالى: ﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ تحتلُّ وجهين:

أحدهما: أن تكونَ عهديَّةً، والمرادُ مَكَّةً، والتَّعبيرُ عنها بالأرضِ على هذا الوجهِ باعتبارِ عظميَّها، كأنَّها هي الأرضُ كُلُّها، ولأنَّ حالَهُم كان في بقيَّةِ البلادِ كحالِهِم فيها أو قريبًا من ذلك⁽²⁾، "والمعنى تذكيرُ المؤمنِينَ بأيَّامِ إقامتهم بمَكَّةَ قليلًا مستضعفين بين المشركين، فإنَّهُم كانوا حينئذٍ طائفةً قليلةً العددِ قد جفاهم قومُهُم، وعادوهم، فصاروا لا قومَ لهم، وكانوا على دينٍ لا يعرفُهُ أحدٌ من أهلِ العالمِ، فلا يطمعونَ في نصرٍ موافقٍ لهم في دينِهِم، وإذا كانوا كذلك، وهم في مَكَّةَ فهم كذلك في غيرها من الأرضِ"⁽³⁾.

والآخَرُ: شبيهٌ بتعريفِ الجنسِ، والمرادُ بالأرضِ الدُّنيا، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 56]⁽⁴⁾.

مطلقُ
الاستضعافِ
دالٌّ على غايةِ
الضعفِ

احتمالُ (أَل)
للعهدِ ولشبيهه
الجنسِ،
وكلاهما دليلٌ
على شدَّةِ
ضعفِهِم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 259/8.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 259/8.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 319/9.

(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 319/9.

براعة التعبير بالظرفية:

التعبير بالظرفية
إيذان بتغلغل
استضعافهم في
الأرض

عبر القرآن بالظرفية ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ للإشارة إلى لطيفتين:

الأولى: تغلغل استضعافهم في الأرض التي هي مكة إن كانت اللام عهدية، ويقاس عليها غيرها، فحالهم في بقية البلاد كحالهم في مكة أو قريباً من ذلك⁽¹⁾، فقد كانوا مستضعفين من قبل كفار قريش وكفار العرب والفرس والروم، أو في الدنيا إن كانت اللام شبيهة بتعريف الجنس.

ولا تعارض مع قوله تعالى: ﴿لَيْسَتْ خَلْقَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ إذ اللطيفة ذاتها، ولكن المعنى يختلف وفق العامل، فيكون المعنى في هذه الآية إفادة تغلغل استخلاف الله وتمكّنه لهم في الأرض.

الثانية: إشارة إلى ركونهم إلى الأرض، كأنهم غائرون فيها في ظلام منخفض، لا قدرة لهم على النهوض منها، منغمسون في ضعفهم وخوفهم، لا يدرون أين يتوجهون؟ كالصيد الذي يخاف من الجوارح تحوم فوقه⁽²⁾.

بلغة ترتيب المذكورات:

قلّة أهل الحقّ
سبب لطمع
أهل الباطل بهم
واستضعافهم

قدّم القرآن الخبر الأوّل ﴿قَلِيلٌ﴾ على الخبرين ﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾ و﴿تَخَافُونَ﴾ من باب تقديم السبب على المسبب، فالقلّة في العدد تؤدّي إلى الاستضعاف، والقلّة والاستضعاف يؤدّيان إلى الخوف، وفي هذا إشارة إلى خطورة التفرّق وأهميّة الجماعة، وأنّ التفرّق سبب لطمع الآخرين واعتدائهم.

نكتة إسناد الخوف إلى واو الجماعة:

الخوف متحقّق
عند الاجتماع
فكيف مع
الانفراد

أفاد إسناد الخوف إلى واو الجماعة في الفعل المضارع ﴿تَخَافُونَ﴾ لطيفتين اثنتين:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 259/8.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 166/2.

الأولى: أَنَّ الخوفَ واقعٌ منكم حالَ اجتماعكم، فكيفَ عندَ الانفرادِ⁽¹⁾، وهذا فيه إشارةٌ إلى شدَّةِ ضعفهم وكثرةِ استضعافهم. الثانيةُ: أَنَّ فيه إشارةً إلى أهميَّةِ التَّوْحِدِ والجماعة، وأنَّه سبيلُ تأييدِ اللَّهِ ونصرِهِ، فلمَّا كانوا في تلكِ الحالةِ التي هي في غايةِ الضَّعْفِ، وكانت كلمتُهم مجتمعةً على أمرِ اللَّهِ الذي هو توحيدُهُ وطاعةِ رسوله، أعقبهم الإيواء في دارٍ منيعةٍ، وأيدهم بالنَّصر وأحسنَ رزقَهُمْ⁽²⁾.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ:

الغالبُ أن يأتي الماضي مع (إِذْ)، ولكنَّ النَّظْمَ هنا أتى بالمضارع:

﴿تَخَافُونَ﴾ لفائدتين:

الأولى: استحضارُ الحالِ التي كان عليها المسلمونَ، وهي حالُ الخوفِ الشَّدِيدِ، إضافةً إلى أَنَّ استحضارَ الحالِ إنَّما يكونُ في الأمورِ المهمَّةِ والعظيمةِ، ممَّا يشيرُ إلى صعوبةِ الحالِ التي كانوا عليها، وهذا كُلُّهُ بهدفِ تصويرِ حالهم التي كانوا عليها بما يحقُّ الأثرَ في نفوسِهِم، وهو شعورُهُم بنعمةِ الأمنِ التي تفضَّلَ بها المولى سبحانه عليهم.

الأخرى: الإشارةُ إلى استمراريَّةِ الخوفِ فترةً من الزَّمنِ ليست بالقصيرةِ، وإلى عدمِ انقطاعه بشكلٍ كاملٍ، فما زالَ تهديدُ أعداءِ الإسلامِ من الفرسِ والرومِ والمنافقين وغيرِهِم قائمًا، قبلَ نزولِ الآياتِ وإلى قيامِ السَّاعةِ.

براعةُ الاستعارةِ:

التَّخَطُّفُ شدَّةُ الخطفِ، والخطْفُ: الأخذُ بسرعةٍ، وهو هنا مستعارٌ للغلبةِ السَّريَّةِ؛ لأنَّ الغلبةَ شبهُ الأخذِ، فإذا كانت سريعةً

استحضارُ حالِ
الخوفِ مشعرٌ
بكمالِ نعمةِ
الأمنِ

تشبيهُ الكافرينِ
بالكواسِرِ دليلٌ
على شراسةِ
أعداءِ الإسلامِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 259/8.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 206/3.

أشبهتِ الخطفَ، أي: يأخذكم أعداؤكم بدونِ كبرى مشقةٍ، ولا طولِ محاربةٍ؛ إذ كنتمْ لقمةً سائغةً لهم، وكانوا أشدَّ منكمْ قوَّةً، لولا أنَّ اللهَ صرفَهم عنكم، وقد كان المؤمنونَ خائفينَ في مكَّة، وكانوا خائفينَ في طريقِ هجرتيهم، وكانوا خائفينَ يومَ بدرٍ، حتَّى أذاقَهم اللهُ نعمةَ الأمنِ من بعدِ النَّصرِ يومَ بدرٍ⁽¹⁾.

نكتة استعمال أن المصدرية بدل المصدر الصريح:

أثر البيان الإلهي مجيء مفعول ﴿تَخَافُونَ﴾ مصدرًا مؤوَّلًا من أن المصدرية ومدخولها ﴿أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ﴾ بدل المصدر الصريح (خَطَفَ)، لما في ذلك من الإطناب والتوكيد اللذين يسهمان في رسم صورة للترُّبُّصِ والوجل، والترقُّبِ الفزع، والأيدي تمتدُّ لتخطفَ القلَّةَ المسلمةَ على سبيلِ التدرُّج، كما تتخطفُ الجوارحُ الصيودَ.

دلالة استعمال العموم:

استعملَ البيانُ القرآني مفردة ﴿النَّاسُ﴾ وهو لفظٌ عامُّ أُريدَ به الخصوصُ، رغم أنَّ الحديثَ عن قومٍ معهودين، وهم المشركون من أهلِ مكَّة وغيرهم، أي: طائفةٌ معروفةٌ من جنسِ النَّاسِ من العربِ الموالين لهم⁽²⁾؛ لأنَّ حالهم كان في بقيةِ البلاد كحالهم فيها أو قريبًا من ذلك⁽³⁾.

معنى الفاء ودلالاتها:

(الفاء) حرفٌ عطفٍ وتضريحٍ؛ لكون ما قبلها ﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ﴾ أي: قلَّةُ المسلمين وضعُفُهم وخوفُهم وهوانُهم هو علَّةٌ لما بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَوَّلَكُمْ﴾، وهذه الجملةُ الفعليةُ في محلِّ الجرِّ معطوفةٌ مفرَّعةٌ على الجملةِ الاسميَّةِ في قوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ على كونها مضافًا إليه لـ ﴿إِذْ﴾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 320/9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 319/9.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 259/8.

إطناب الألفاظ
يُسهم في تصوير
اللعاني

تمالؤ المشركين
على المسلمين
توصيف لشدة
ضعفهم

تفريع الإيواء
على استضعاف
الناس للمؤمنين

دلالة استعمال لفظ الإيواء:

يدل استعمال النَّظْمِ لَلْفِظِ الْإِيوَاءِ ﴿فَقَاوَلَكُمْ﴾ بعد ذكر خوف التَّخَطُّفِ ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ على عظيم رحمته وفضله ومنته وتشريفه لهم سبحانه؛ لأنها أتت في وقتٍ هو أشدُّ ما يكون فيه خوفٌ وضعفٌ وهوانٌ على الناس وحاجةٌ إلى العطفِ والحماية والسندِ؛ إذ إنَّ أعداءهم يأخذونهم، ويفتكون بهم بدون كبرى مشقة ولا طولٍ محاربة؛ إذ كانوا أشدَّ قوَّةً منهم.

أعظم المَنِّ التي
تظهر في ثنايا
المحَنِ

بلادة التَّوَسُّطِ بين الكَمَائِنِ:

بين قوله تعالى: ﴿فَقَاوَلَكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ توسُّطٌ بين الكمالين لاشتراكهما في الإنشائية، ووجود التناسب والارتباط بينهما؛ إذ إنَّ كلا من الإيواء والتأييد نعمة من الله يكمل بعضها بعضاً؛ فالإيواء: ضمٌ ضعيفٌ مع رافةٍ وشفقةٍ عليه، والتأييد: هو تقويته وحفظه.

تكاملاً بين
الإيواء والتأييد
يبرز عظمة
للنعم ورحمته

علة حذف المتعلقات وذكرها:

حذف البيان القرآنيُّ مُتَعَلِّقٌ فِعْلٍ ﴿فَقَاوَلَكُمْ﴾؛ فلم يقل: (أو اكم إلى المدينة) بخلاف ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ و﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ للإشارة إلى وفرة الدلالة في ﴿فَقَاوَلَكُمْ﴾؛ فالإيواء من الله ﷻ يعني: المدد والقوَّة والعناية والرعاية، وغير ذلك، فلو أنَّه ذكر متعلق الفعل لحصره بما ذكر، فأفاد الحذف عموم أثر الإيواء فيهم.

بيان عموم
أثر الإيواء في
المؤمنين

معنى الباء ودلالاتها:

حرف الجرِّ (الباء) في قوله تعالى: ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يحتمل معنيين: الأول: الإلصاق، أي: إنَّ تأييد الله لهم أتى ملتصقاً بنصره لا ينفك عنه.

تأييد الله
للمؤمنين
مصحباً للتَّصَرُّفِ

الآخر: المصاحبة، بمعنى (مع) وهو الأقرب، والمعنى: أيَّدكم مصحوبين بنصره.

دلالة الإضافة:

نصرُ اللهِ بعمٍّ
أشكالاً عديدةً
تدلُّ على منِّ
مديدةٍ

قوله تعالى: ﴿بِنَصْرِهِ﴾ اسمٌ معرفٌ بالإضافة، وهو من صيغ العموم؛ لذا فإنَّ المعنى البلاغيَّ الَّذي تقيدهُ هذه الإضافةُ هو عمومُ نصرِ اللهِ تعالى، ليشمل أنواعاً كثيرةً، فقد أيدهم بقوّته، كما قال ابن عباس⁽¹⁾، وأيدهم بمظاهرةِ الأنصارِ، وأيدهم بإنزالِ الملائكةِ يومَ بدرٍ⁽²⁾، وأيدهم بنصره على الكفارِ⁽³⁾، أو بغير ذلك، فيدخل فيه كلُّ نصرٍ مِنَ اللهِ تعالى للمؤمنين، كما أنَّ هذه الإضافةُ ﴿بِنَصْرِهِ﴾ تقيّدُ التّشريفَ، تشريفَ هذا النّصرِ وتشريفَ المنصورين، وأنّه واردٌ من القادرِ سبحانه، فهو قوّةٌ وعزّةٌ ورحمةٌ ربّانيّةٌ، وتدلُّ على إسنادِ التّأييدِ بالنّصرِ إلى اللهِ.

بلاغة ترتيب الأفعال:

الأمنُ جالبٌ
للنّصرِ، والنّصرُ
طريقُ الظّفرِ

في هذه النّعمِ رابطٌ يصلُ بعضها ببعضٍ، ويسمحُ للواوِ أن تجمعَ بينها، فهؤلاءِ قومٌ كانوا قليلين مستضعفين، يخشون أن يُفتكَّ بهم، ويسلبهم الحرّيّةَ، فلا جرمَ كانت نعمةُ الأمنِ لها المكانُ الأوّلُ بين نعمِ اللهِ عليهم، ولم يقفِ الأمرُ عند حدِّ الأمنِ، بل زادَ عليه أن أيدهم بنصره، ولم تنتهِ نعمةُ عند حدِّ الطّمأنينةِ والغلبِ، بل رزقهم رغدَ العيشِ، وطيباتِ الحياة⁽⁴⁾.

بلاغة الوصل:

وُصِلَ بين الجملِ ﴿فَقَاوَلَكُمْ﴾ و﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ و﴿وَرَزَقَكُمْ﴾، أي: عَطَفَتِ الجملتانِ الخبريّتانِ ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ و﴿وَرَزَقَكُمْ﴾ على قوله: ﴿فَقَاوَلَكُمْ﴾ الّتي في محلِّ جرٍّ؛ لأنّها جملٌ متغايرةٌ، وتشتركُ في المعنى، وهو التّذكيرُ بنعمةِ اللهِ على المؤمنين: الأمنُ بعد الخوفِ،

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 105/10.

(2) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن: 347/3.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 17/4.

(4) أحمد البدوي، من بلاغة القرآن: 136.

الكثرة بعد القلّة، والقوّة بعد الضّعف، ومن محسنات هذا الوصل هنا تناسب الجملتين في المضى⁽¹⁾.

بلغة الإدماج:

في قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ إدماج بذكر نعمة توفير الرزق في خلال المنّة بنعمة النصّر وتوفير العدد بعد الضّعف والقلّة، فإنّ الأمن ووفرة العدد يجلبان سعة الرزق⁽²⁾، أي: قرن بين الغرض المسوق له الكلام، وهو تحقيق الأمن ووفرة العدد، والغرض الآخر، وهو سعة الرزق، بدون تكلف.

دلالة حرف ﴿مِنْ﴾:

حرف الجرّ ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾ للتبعض، وهي تقيّد التحفيز على الشكر؛ لأنّ ما أكرمهم به من إحلال الغنائم أو الحلّال من الرزق هو جزء من الطيّبات التي أعدّها لهم، ففيه إيماؤ لأرزاق لم تأت، وأعظمها رزق الجنّة.

فائدة التعبير بالطيّبات:

عبّر القرآن بالطيّبات دون مرادفاتها للإشارة عند من فسّرها بالغنائم الكاملة الطيّبة بالإحلال وعدم المنازع⁽³⁾ إلى أنّها لم تحل، ولم تطب إلا لهذه الأمّة، وأنّها من خصائصها، وعند من فسّرها بالحلّال من الرزق⁽⁴⁾ إلى طيب هذا الرزق، وأنّه ليس بخبيث؛ فقد جعله ملائمًا للطّباع، شهيا للأرواح، نافعا للإشباع، "وتقول العرب: طاب لي هذا، أي: فارقتّه المكاره"⁽⁵⁾.

الإشعار
بسعة الرزق
تطيّب لخواطر
المحاويج

الإيماء إلى
طيّبات لم تأت

الطيّبات هي
غنائم لم تطب
إلا لهذه الأمّة
أو حلّال توافقه
الفترة

(1) من محسنات الوصل: أن تتناسب الجملتان في الاسميّة والفعليّة، وفي المضى والمضارة، وفي الأمر والتّهي، وفي الإطلاق والتّقييد. يُنظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 160.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 320/9.

(3) الرّمخشري، الكشف: 213/2، والبقاعي، نظم الدرر: 206/3.

(4) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: 173/2.

(5) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: 429/2.

بلادةُ المقابلة:

المقابلة من المحسنات البديعية، وفي الآية مقابلة بين القلّة والإيواء؛ لأنّ القلّة يحتاجون إلى إيواءٍ، والضعف والتأيد؛ فالضعيف يحتاج إلى تأييد القوي، والخوف والرزق؛ فمن أعظم أسباب الخوف: ذهاب الرزق، فالآية الكريمة اشتملت في صدرها على ثلاثة معانٍ يقابلها في آخرها ثلاثة معانٍ على الترتيب، ففي صدرها القلّة والضعف والخوف قابلها الإيواء والتأييد والرزق.

علةُ الفصل:

فصل القرآن قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ عمّا قبلها، أي: لم يأت بحرف العطف الواو؛ لأنه لا يراد عطف الجملة على ما قبلها، وإنما الغرض هنا من مجيء لعلّ دون أن تسبق بواو إفادة معنى التعليل، فقولُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بيان لحكمة الأمر بتذكّر النعم، وأنه في قوّة المفعول لأجله ﴿وَأَذْكُرُوا﴾؛ ولذا فسّرها الزمخشري وأبو حيان بإرادة أن تشكروا نعم الله⁽¹⁾، وفسّرها البقاعي بقوله: "ليكون حالكم حال من يرجى شكره"⁽²⁾.

غرض استعمال حرف الترجي:

سبقت ﴿تَشْكُرُونَ﴾ بـ (لعلّ) لتحقيق الغرض البلاغيّ منها في إحكام معنى الفاصلة، وهو إبراز المتمنى في صورة الممكن المطموع فيه، بغية الإشعار بكمال العناية به، والتلّهُف على الحصول عليه، أو تحقيقه⁽³⁾.

بلادةُ الفاصلة القرآنية:

أفادت الفاصلة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إحكام اللفظ وإحكام المعنى، أمّا إحكام اللفظ؛ ففي التطريب وراحة النفس بإعطائها

تقابل بين
الأحوال المتضادة
تستوجب
الأعمال الجادة

الشكر علة
لإتمام النعم

إيقاع رجاء
الشكر في
الخطابين

نعم الله تعالى
تستلزم شكره

(1) الزمخشري، الكشاف: 213/2، وأبو حيان، البحر المحيط: 307/5.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 206/3.

(3) عبد الرحمن، البلاغة اللغوية، ص: 252.

نِعْمًا خَاصًّا؛ إِذْ حُتِمَ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ، وَالْوَاوُ مِنْ حُرُوفِ الْمَدِّ الَّتِي هِيَ مِنَ الْحُرُوفِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي الْجَرَسِ، وَتَسْمَى بِالْهَوَائِيَّةِ وَالْجَوْفِيَّةِ، وَبِذَلِكَ تَكُونُ مُنَاسِبَةً لِلْمَقَامِ، وَهُوَ مَقَامُ تَذَكُّرِ النِّعَمِ وَوُجُوبِ شُكْرِهَا، وَهَذَا يَقْتَضِي جَوًّا هَادِئًا تَتَحَقَّقُ فِيهِ الرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ.

وَأَمَّا إِحْكَامُ الْمَعْنَى وَإِكْمَالُهُ؛ فَقَدْ جَاءَتْ الْفَاصِلَةُ مَكِينَةً مُسْتَقَرَّةً فِي مَكَانِهَا، مُطْمَئِنَّةً غَيْرَ نَافِرَةٍ وَلَا قَلْقَةٍ، بَلْ تَشَكُّلُ جُزْءًا مِنَ الْمَعْنَى؛ فَقَدْ مَهَّدَتِ الْآيَةُ بِمَعْنَى يَنَاسِبُ الْفَاصِلَةُ، فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ نِعْمَةَ الْإِيوَاءِ وَالتَّأْيِيدِ وَالرِّزْقِ الطَّيِّبِ؛ أَثَارَ فِي الذِّهْنِ مَا تَسْتَلِزُّهُ هَذِهِ النِّعَمُ، وَهُوَ الشُّكْرُ، فَكَانَ ذَلِكَ تَوَاطُؤًا لَوُرُودِ الْفَاصِلَةِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَيْهَا (لَعَلَّ)، يَقُولُ الرَّازِي: "لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، أَي: نَقْلُنَاكُمْ مِنَ الشَّدَّةِ إِلَى الرِّخَاءِ، وَمِنَ الْبَلَاءِ إِلَى النِّعْمَاءِ وَالْآلَاءِ، حَتَّى تَشْتَغَلُوا بِالشُّكْرِ وَالطَّاعَةِ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِكُمْ أَنْ تَشْتَغَلُوا بِالْمُنَازَعَةِ وَالْمُخَاصَمَةِ بِسَبَبِ الْأَنْفَالِ؟" (1).

نكتة التعبير بالفعل المضارع:

استعمل القرآن صيغة المضارع المسبوق بـ(لعل) في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ للتنبية على ضرورة استمرار الشكر حتى تدوم النعمة، ولألا يحيدوا عن أسباب بقاء عزهم، قال ابن عاشور: "وقد نبههم الله تعالى بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، فلما أعطوا حق الشكر؛ دام أمرهم في تصاعد، وحين نسوه أخذ أمرهم في تراجع، ولله عاقبة الأمور" (2).

غرض حذف المفعول به:

ذَكَرَ الْمَفْعُولُ بِهِ يُوَدِّي إِلَى تَخْصِيصِ الشُّكْرِ بِأَمْرٍ وَاحِدٍ، مِنَ الْإِيوَاءِ أَوْ التَّأْيِيدِ بِالنَّصْرِ أَوْ تَحْلِيلِ الْغَنَائِمِ، وَهَذَا مُخَلٌّ بِالْإِفْصَاحِ عَنْ كُنْهِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُمْ، وَهُوَ الشُّكْرُ عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ الَّتِي لَا تَعُدُّ وَلَا تَحْصَى.

النَّعْمَةُ صَيِّدٌ
شُكْرُهَا قَيْدٌ

الْعُمُومُ يَدُلُّ
عَلَى كُنْهِ الشُّكْرِ
الْمَطْلُوبِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 474/15.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 321/9.

وخاصة أنَّ ألفاظ الآية الكريمة التي سبقت ﴿تَشْكُرُونَ﴾ تمتازُ
بوفرة الدلالةِ ﴿فَأَوْلَكُمْ﴾ و﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ و﴿وَزَرَقَكُمْ﴾، فالإيواءُ
والتأييدُ من الله ﷻ تعني: المدد والقوة والعناية والرعاية، وبالتالي
جاء ﴿تَشْكُرُونَ﴾ محذوفَ المفعول نتيجةً لهذه النعم المتعددة التي
تستحقُّ الشكر والاعتراف بفضلِ الله عليهم.

نكتة إنباء الصيغ الفعلية:

تغيَّرُ الأحوال
تناسبُهُ صيغُ
الأفعال التي
تدلُّ على
الحدوثِ
والتجدُّدِ

في عرضِ أحوالِ المسلمين في حالتين مختلفتين: حالة الذلَّةِ
(الاستضعاف والخوف وتخطُّف النَّاسِ لهم) وحالة العزَّةِ ﴿فَأَوْلَكُمْ﴾
و﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾، و﴿وَزَرَقَكُمْ﴾ و﴿تَشْكُرُونَ﴾، وفي ذلك دلالةٌ على
التَّحوُّلِ والتَّغْيِيرِ الذي تناسبُهُ صيغُ الأفعالِ أكثرَ ممَّا تناسبُهُ الأسماءُ
التي تقيدُ الثُّبوتَ والدَّوامَ، وهذا من بلاغةِ التَّنَاسُبِ بين صيغِ الألفاظِ
ومعانيها ودلالاتها.

❁ الفروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الذكرُ والذِّكْرُ:

الذِّكْرُ:
استحضارُ
وعدمُ نسيانِ،
وذكرُ باللسانِ،
والذكرُ: صيَّةٌ
وثنَاءٌ

الذِّكْرُ بالضمِّ: ضدُّ النِّسيانِ، يقالُ: اجعلهُ منك على ذِكْرٍ بضمِّ
الذالِ، أي: لا تنسَهُ، والذِّكْرُ: يكونُ باللسانِ وبالقلبِ، وذِكْرُ الحقِّ
بالكسرِ: هو الصِّكُّ (لحفظُ الحقِّ فيه ثابتاً قوياً لا يُجحدُ، ولا
ينسى)، والمبنيُّ للمفعول ومضارعه وفعل الأمرِ من (ذكر) أكثرُهُ
لِذِكْرِ اللِّسانِ، وبَعْضُهُ لِذِكْرِ ضِدِّ النِّسيانِ، أو يصلحُ لهما معاً.

والذِّكْرُ بالكسرِ: الصِّيتُ والثناءُ، والعلاءُ والشَّرْفُ، يقالُ: رجلٌ
ذِكْرٌ وذِكِيرٌ، أي: جيّدُ الذِّكْرِ شَهْمٌ، ومنهُ قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ
ذِكْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: 4] (1).

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر)، وابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 302، وابن منظور،
لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ذكر).

مأدّة الكلمتين واحدة، وهي الذّالُّ والكافُ والرّاءُ، وقد يجتمعُ المعنيانِ معاً، كما في وصفِ كتابِ اللهِ تعالى بالذّكر؛ لكونه محفوظاً شريفاً القدر، ولما فيه من تذكيرٍ بما تضمّن من قصصٍ ومواعظٍ، والفرقُ بين اللَّفظينِ يحدّدُه السّياقُ⁽¹⁾.

الإيواء والالتجاء:

الإيواءُ: المعنى المحوريّ للإيواء: ضمُّ مع ضعيفٍ ما، كالحاجةِ إلى حمايةٍ أو راحةٍ أو إحساس الآوي بحاجةِ المأويّ إلى العطفِ ونحوه، فالإيواءُ ضمُّ مع إشفاقٍ على المأويّ، وأكثر ما في القرآن من هذا التركيبِ يرجعُ إلى هذا المعنى، وأمّا ما جاء مع أصحابِ النَّارِ من معنى المأوى، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَاءٌ﴾ [آل عمران: 151] ففيه معنى الضّمِّ ومعنى التّهكّم أيضاً⁽²⁾.

والالتجاءُ: يقال: لجأتُ والتجأتُ، والملجأُ: الحيزُ القويُّ الحصين، يحفظُ ويمسكُ ما يلودُ به، ويدخله، كالمعقلِ له، ولجأُ إلى اللهِ: استندتُ إليه، ودخلَ في حماه، والتجأتُ إلى اللهِ: استندتُ إليه، واعتضدتُ به، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا أَلَا مَلَجَأٌ مِّنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [الشورى: 47] أي: عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الرُّكْنُ الشَّدِيدُ الْحَصِينُ⁽³⁾.

كلا اللَّفظينِ فيهما معنى الحاجةِ إلى الحمايةِ والسّندِ والحصنِ القويّ، ولكن يمكنُ ملاحظةَ بعضِ الملامحِ المميّزة لكلِّ لفظٍ: فالإيواءُ: إحساسُ الآوي بحاجةِ المأويّ إلى الحمايةِ والعطفِ، فيكونُ إيواؤه له ضمّاً مع إشفاقٍ عليه وحفظه ورعايته. وأمّا الالتجاءُ: فهو إحساسُ اللاّجئِ بالحاجةِ إلى السّندِ والحمايةِ والحصنِ المنيعِ.

الإيواء: ضمُّ
للمأوي مع
الشّفقة،
والالتجاء:
استنادُ اللاّجئِ
إلى حصنٍ قويٍّ

(1) محمد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 389.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أوى)، والراغب، للفردات، ص: 43، وجبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (أوى).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (لجأ).

وكانَّ الالتجاءُ هو الخطوةُ الأولى، وتكونُ من اللّاجئِ باتِّجاهِ الآوي، ويكونُ الإيواءُ
استجابةً لطلبِ اللّاجئِ وضُمَّه والإشفاقُ عليه وحمايته، وقد يكونُ هناكُ التجاءٌ، ولا يكونُ
إيواءٌ؛ إذا لم تتمَّ الاستجابةُ من الملتجئِ إليه.



عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 15، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-11-1

يشتمل على ارجاعات بيبليوجرافية.

مج. 15: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-768-11-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»